فإن تقوى الله خير بضاعة … لصاحبها في يوم ليس يغنم

وما عند للمتقين خير ذخيرة … مما يكسب الخيرات والسعي يشكر

إذا أصبح البطال في لحظة نادما … يعض على كفيه أسفا يتحسر

وطوبى لمن يمسي ويصبح عاملا … على كل شيء طاعة الله يديم

يهابه عن زلة قلب أيام عمره … يصلي ويتلو للكتاب ويذكر

ويأنس بالمولى وهو في خشية الورى … ويشكره في السر وفي الجهر يصبر

ويتلو على القرآن بالدون فاقع … تغلى له قلب نفوس خشوع

جسم نحيل جسمه دام الخشوع … يصوم عن الدنيا على الموت يحكم

وجراح شوقا للأحبة واللقا … ونحن إليه من قبلهم الغزا يعجم

إذا ذكرت جنات عدن وأهلها … يذوب اشتياقا نحوها ويقيم

ويغلو بجواد العزم إذ هم سابقا … وأصبح مجنونا عن الغير يسبع

فإذا هم يسقي ماء عين إن ينضا … لعين عن قطع الفيافي مضمر

ويبكي في سفر أن يشتبه العدا … ويفهم داني بين المعا ويفهم

يمثل الغلاما فلا ذا غير ماجن … يناله بالروح الحكيم ويطعم

وإن إلم إذا فيه أمر … أنصوح من غير الله وأقرب

قلت والمراد بالجواد الأدهم الليل وبالأبيض المضمر النهار وفي تقوى أهل المراقبة والحضور والمجاهدة المفضية إلى كشف الحجاب والقرب من الأحباب والمشاهدة كما أنشد الشيخ الجليل جمال الدين الحوفي رضي الله عنه لنفسه

فلو في الشي أحسنت يا نفس عفة … فبروح هواك عن بحور الشعف

تمثل روح القدس في الحال مخفيا … عليك كشفوفات نبي مغفق

قلت جمعنا ما اقتصرت عليه من الكلام في التقوى مع أني كما قيل

وغير تقي يأمر الناس بالتقى … طبيب يداوي الناس وهو عليل

والشرافية من الثلاث الخصال الحقة كونه من العلم وقد تظاهرت الدلالات من آيات القرآنيات والأحاديث النبويات وإجماع علماء الأقطار من النواحي والأمصار في جميع الأعصار على فضل العلم وشرفه ويكفي مما جاء في ذلك قوله عز وجل شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم وقوله تبارك وتعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وقوله سبحانه يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقوله صلى الله عليه وسلم إن العلماء ورثة الأنبياء وقوله صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير وقوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم وفي رواية على أمتي قلت وقد تقدم في الفصل التاسع قول الإمام أبي الحسن الوردي رضي الله عنه الإشارة إلى العلم المذكور في هذا الحديث ليس إلى علم البيع والشراء والطلاق والعتاق وإنما الإشارة إلى العلم بالله تعالى وقوة اليقين ثم قال في أثناء كلامه وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من علماء الآن بعين علم اليقين وقد فاقوا المعرفة وقد كان علماء التابعين فيهم من هو أفقه بعلم الفتوى والأحكام من بعضهم بعض من بعض الصحابة قال والعلماء الزاهدون بعد لا خير منهم الأمر بينهم منه بعض بعض من العيوب أقبلوا على الله وانقطعوا إليه وخلصت أرواحهم إلى مقام القرب فأوضحت أرواحهم على قلوبهم أنواع تعينات بها كادت العلوم وصار العالم الرباني في العلم هذا كلامه بحروفه ونقول هنا أيضا قوله ويشبه عن مثل هذا الصوفية وزهاد العلماء أن العلوم كلما لا يعتني بتحصيلها مع محبة الدنيا والإخلال بحقائق التقوى وربما كانت محبة الدنيا عونا على اقتصابها لأن الاشتغال بها شاغل على التقوى من جملة النفوس عن صاحب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)